تيارا فلسفة الحقوق (تابع)

المبادئ الفردية والاجتماعية

بقلم الاب فليكس سوانيون اليسوعي

٥ ــ القرن السابع عشر

ان اول من نحييه هو هيغو كروتيوس (١٥٨٣—١٦٤٥) (Hugo Grotius) الذي اطلق عليه من يجهلون تاريخ الحقوق لقب « اب الحقوق الطبيعية » .

وفي الواقع انه قد اوقظ تعاليم قديمة كل القدم .

وها هم ذو مفكرون آخرون كانوا اشدّ غرابة في آرائهم : لقد كان هوبس (Hobbes) (١٥٨٨—١٦٧٩)وولد وعاش في عهد الخوف ففي ايامه كانت حرب العمارة الاسبانية (الارمادا) والفوضى الانكليزية وحكم كرمويل وظهر كتابه القهر (Léviathan) سنة ١٦٥١ ، وقد كان هذا العالم تجريبياً في علم النفس ومادياً في علم ما وراء الطبيعة اي انه قد كان له ما ينبغي ان يكون ليجبل الكائن الاجتماعي والحقوق وما قاله : ان الانسانية تخضع لقوتين متناقضتين: هما المنفعة والخوف ولقد انتهى الامر بالافراد لكي يتخلصوا من الخوف الذي يدبّه الانسان في قلب الانسان بان يتجمعوا كالقطعان ويضعوا انفسهم تحت حراسة طاغية يمنعهم من ان يمزّق احدهم الآخر ، وان قوة الامير هي التي تصنع الحق (Might is right).

وانه لامر شديد الغرابة ان يكون لتعليم الكالح هذا تأثير في فرنسة اكثر منه في انكلترة . اما ديكارت فابتعد عن تعاطي السياسة ، وما قاله: « من الواجب احترام الانظمة على ما فيها من شوايب. «انه من الصعب اذا ما هوت هذه الاجسام العظيمة ان تنهضها او ان تمسكها لكي لا تسقط ، اما تدهورها فقد يكون قاسياً جداً » (Discours, 2e partie) .

والاصلاح الذي حاوله شخصي محض ، وهو اصلاح فكره الخاص . لان مبادئ احد الافراد قد تكون ذات مستوى شامل . اما طريقة ديكارت فصحيحة لكل الازمان وفي جميع الاجواء . والعقل الفردي هو قاضي الحقيقة الاعلى وليس ذلك فقط بسبب ان وضوحها الشخصي هو الدليل الصادق عليها ولان الاقدمين كانوا يسلمون بها وانما يستطيع كل فرد ويجب عليه ان يجد وحده كل الحقيقة بصرف النظر عن التقليد والشهادة وبدون اية مساعدة كانت وان يضرب صفحاً كاملاً على كل ما استطاع الآخرون ان فكروا او يفكروا فيه .

ولقد طبق روسو واصحاب المذاهب الفلسفية الثورية هذا المبدأ في علم الاجتماع والسياسة ولماذا لا ؟ فقد ضربوا صفحاً كاملاً على كل الانظمة ليعيدوا تشييد الدولة من جديد بقوة العقل ... والمعقولة ...

وجعل ديكارت مبدأ الفردية العقلي هذا اشد خطورة بطريقته الرياضية (Mathématisme) ، اي انه زعم استنتاج كل امر بواسطته وانه لن يستخدم لتشييد البناء العلمي الا افكاراً واضحة جلية كالافكار الرياضية . واذا كانت ثمة اجواء لا يصلح فيها تطبيق هذه الطريقة فذلك هو جو الحياة ولا سيما الحياة الاجتماعية ، ولقد قيل ان روسو هو ابو الثورة والمذهب الفردي الحديث وجدهما ديكارت الذي ظهر كتابه (Le Discours) سنة ١٦٣٧ .

باسكال (١٦٢٣—١٦٦٢)، لا نستطيع ان نحصر بسهولة فكرة باسكال ونعبر عنها بايجاز، اذ انّ لفلسفته وجهين. ففي نطاق الطبيعة هو من الذين يعتقدون ان الوحي هو مبدأ المعارف وقد تبنى مذهب مونتاين (Montai ne) الشكوكي ومذهب جانسينيوس التشاؤمي . ومن رأيه اننا عاجزون عن معرفة الحقيقة وصنع الخير بدون الايمان والنعمة ومن قوله : في الواقع — ماذا نعرف عن الفلسفة الاجتماعية ؟ ان الانسان العامي يعتقد ان القانون عادل والسلطة مشروعة .

(Cf. Pensées, édit. Havet, V,2,7 ; VI, 40).

ولكن ما من امر عادل بذاته كما يقول العقل (HI, 8, 13) . وليس عدلنا المزعوم الا قضية زيّ (VI, 6) . فهو متقلب بحسب الزمان والمكان : « ان

ارتفاع ثلاث درجات من القطب تقلب كل علم الحقوق رأساً على عقب ، وان خط عرض واحد يقرّر بشأن الحقيقة فللحقوق عهودها . ان دخول زحل من برج الاسد يطلعنا على اصل الجريمة الفلانية . . . وان حقيقة في جانب البيرنيه (Pyrénées) هي خطأ في جانبه الآخر (III, 8) . وفي سبيل احلال السلام فلنقطع القوة . واذ عجزنا عن ان يكون العدل قوياً فكانت القوة العدل (VI, 8) . ان المنفعة هي التي توطد اركان المجتمع . و«لقد استخدمنا الشهوة كما كان بمقدورنا لنجعلها في خدمة المصلحة العامة» (V, 21) .

هذا هو الوجه الاول لفلسفة باسكال وهي على طريقة هوبس . واليك وجهها الثاني : «بما ان الله قد صنع السماوات والارض وهما لا تشعران بسعادة كيانها فقد اراد ان يصنع مخلوقات لتعرفه وتؤلف جسماً من اعضاء مفكرين» (XXIV, 59) والاعضاء بيننا تريد خير الجسم فانها تريد في الوقت نفسه خيرها (id. 60). فعلينا اذاً ان نختار المصلحة الشاملة (XII, 33) و«لكي نجعل الاعضاء سعداء كان لا بدّ من ان تكون لهم ارادة وان يحلوها عاشي الجسم » (XXIV, 6 ter)

ولقد بسطنا هنا بملامح واضحة صورة افضل المذاهب الاجتماعية. ولكن من نكد الطالع ان باسكال لم يعرف ميزة هذه الفلسفة العقلية ومع ذلك فقد كتب « ان القانون لم يهدم الطبيعة ولكنه علمها والنعمة لم تهدم القانون وانما جعلته قيد الممارسة » (id. 6) .

اما المسؤول عن هذه الشوايب فمبادئ جانسنيوس.

٦ ــ القرن الثامن عشر

في هذا القرن كان هيوم (١٧١١-١٧٧٦) (Hume) ، وكوندياك (١٧١٥-١٧٨٠) (Condillac) مع فلسفتها التجريبية الجديدة ؛ وهلفيتيوس (١٧١٥ - ١٧٧١) (Helvetius) وهولباك (١٧٢٣ - ١٧٨٩) (Holback) وكابانيس (١٧٥٧-١٨٠٨) (Cabanis) مع فلسفتهم المادية المجددة، وفولتير والانسكلوبيديون والفلسفة المزعومة «pseudo-philosophie» ولويس الخامس عشر واعتزال السلطة،

وخروج جانسنيوس (Jansénius) على الكنيسة : اعني ان الارض كانت ممهدة في ذلك العهد لنمو جميع بذور الضلال .

وقد كان روسو مكبر صوت المذهب الفردي الحديث (١٧١٢–١٧٧٨) اما علم الاجتماع الذي وضعه فمعروف . فلذلك ساكتفي بايراد بعض اقواله : لقد تكوّن الافراد بطبيعتهم تكويناً كاملاً قبل ان يعيشوا مجتمعين بيد ان المصادفة والاحداث الالية قد افضت بهم الى حياة الاجتماع حيث شرع البشر يفقدون صلاحهم الاصلي . وما عشت حياتهم الاجتماعية حتى هدمت شيئاً فشيئاً الحرية والمساواة الطبيعيتين وجرّت وراءها جميع ضروب الرذائل . فلذلك يقضي الواجب باعادة تنظيم المجتمع على اسس كاسس الطبيعة اي ان يصان استقلالهم ومساواتهم ؛ فالذي يحتاج اليه الفرد هو ان يتحرر من الطغيان وان يصان من الظلم .

هذه هي الغاية التي كانت هدف مؤلفه « العقد الاجتماعي » : بالتخلي الشخصي عن الكل للجميع فكلّ يجعل الارادة العامة ارادته . والشعب هو وحده السلطان الشرعي ، وتنقطع الارادة المشتركة عن ان تكون ارادة عامة عندما لا يصبح هدفها مصلحة الجميع ضمن نطاق المساواة المطلقة . وحينئذ يستطيع كل فرد إمّا ان يسترد حريته وإمّا ان يرضى بالاستعباد ، اما المجتمع السياسي فمجموعة متماسكة الاجزاء قد اوجدها الافراد بحريتهم وحافظوا عليها ، وهذا هو التماسك الذري الاجتماعي التام .

ومن الصعب ان نذهب الى ابعد من ذلك في هذا النحو الذي لا يعقبه الا الفوضى المحض ؛ ولقد حاولت الثورة الفرنسية ان تضع تعليم روسو موضع العمل به فهدمت اشياء كثيرة صالحة وغير صالحة وجردت خاصة الافراد من ملاكهم حيال البلوتوقراطية (سلطة الاغنياء) ، وبذلك مهدت الطريق امام شكل جديد لاستعباد عمال القرن العشرين .

وعقب ذلك اخذ مذهب الفردية يتدهور من اجواء الجدل النظري الى ارض الحياة العملية .

وشاطر روسو تفاؤله بالطبيعة وثقته بها الاقتصاديون الذين اطلقوا عليهم

اسم الفيزيقراطيين و«هم الذين يرون ان الارض وحدها هي موارد الثروة» اما القول «دع الامور تجري في اعنتها» فهو شعار المذهب الاقتصادي الحر الذي يعتبر مونتسكيو من اتباعه .

ولا مندوحة عن ان نضع كانت(١٧٢٤–١٨٠٤) (Kant) في عداد القائلين بمذهب الفردية لان الحقوق في نظره هي توازن الحريات الفردية التي اقرها القانون وصانتها الدولة . ومن اقواله ان غاية القانون حماية الشخص .

٧ ــ القرن التاسع عشر

ان مفهومي المذهبين الفردية والاجتماعية ليعدم احدهما الآخر ضمن اطار الحياة الاقتصادية حيث يتفوق الثاني على الاول شيئاً فشيئاً ويتخذ شكل تجمعات تزداد في تعقدها وتسير في انحرافات خاطئة ولاسيما في الانحراف القائل بنضال الطبقات وبمذهب الاجتماعية في الدولة (Étatisme) .

١ – مذهب الفردية

يبدو المذهب الفردي في شكلين متقاربين هما : مذهب رأس المال الحر في فرنسة والمذهب الاقتصادي الحر في انكلترة . وبالاستطاعة تعليل المذهب الاول بعاملين اقتصاديين متبادلين : استخدام الآليات التي كان اتقانها يزداد يوماً فيوماً وحشد الصنائع اولاً في مؤسسات الصناعة ومن ثم في المعامل والمراكز الصناعية وتكديس الشركات لرؤوس الاموال وحشدها وارتفاع عدد العمل وازدياد شقة التباعد بين طبقتي المستخدِمين والمستخدَمين . وقد افضى السباق في الانتاج الرخيص الى دفع اجور متدنية لا تكفي العامل فكان الفقر وعدم الاستقرار والعمل الشاق .

ونتائج التقدم المادي افضت الى الاستعباد كما يؤخذ من التحقيقات الرسمية التي اوضحت اجراءات يندى لها الجبين .

وجاء في تصريح لوزير التجارة الانكليزي هوسكيسون (Huskisson) في مجلس العموم :« ان رجال صناعة الحرير في بلادنا يستخدمون الوف الاطفال في معاملهم ويجبرونهم على الشغل من الساعة الثالثة صباحاً الى العاشرة مساء

تحت رقابة مناظرين في ايديهم السياط ليضربوهم بها اذا ما توقف احدهم قليلاً عن العمل (Ami du Clergé. 30 mai 1918. p 523) . ولقد أشير الى مثل هذه الحوادث في فرنسة.

ولقد وُجد اقتصاديون استصوبوا هذا النظام كجان. ب. ساي (١٧٦٧—١٨٣٢) (J. B. Say) وشارل دونويه (١٧٨٦—١٨٦٢) (Charles Dunoyer) وفردريك باستيا (١٨٠١ — ١٨٥٠) (Frédéric Bastia) وكانوا يقولون ان توازن القوى الاقتصادية يستقر استقرارًا « اوتوماتيكيًا » . فمن الخطر التدخل بشأنها .

وبعد سنة ١٨٤٨ كان هناك اقتصاديون يقولون ان البؤس محتوم وهو من عمل العناية الالهية على شاكلة اثراء نخبة من الناس.

وها تحت نظري وريقة دعاية بقطع ٨×١٣ تبيّن نفسية بعض الاوساط « الحسنة التفكير » « bien pensants » ظهرت في ليل(Lille) ولا تاريخ لها وهي بلا ريب من المنتصف الثاني للقرن التاسع عشر واليك محتواها :في سبيل هداية العمال زاهم يعتدّون اعتدادًا كبيرًا بمؤسسات المساعدات الاجتماعية ؛ اجل انها وسائل مفيدة ولكنها نافلة ليس الّا وبالاستطاعة الاستغناء عنها تماماً . . . لانها ليست غير علاجات مسكنة . . . ان عظة قوية على الجحيم لاشد فعلاً في نفوس العمال المارقين لارجاعهم الى الكنيسة اكثر من جميع مؤسسات المساعدة الاقتصادية في العالم . اما البابا لاوون الثالث عشر فليس من هذا الرأي. وما هي ضروب الجدل النظرية التي رافقت العوز الانكليزي المخيف ؟ انها آرا. اقتصادي المذهب الذي اطلق عليه اسم المذهب الاقتصادي المدرسي.

ويُقال ان ادام سميث (١٧٢٣—١٧٩٠) (Adam Smith) الذي كان صديقاً لهيوم هو الذي اسّس العلم الاقتصادي وعلم ان المصالح الفردية لا بدّ لها من ان ينسجم بعضها مع بعض وفق نواميس محتومة على شاكلة نواميس القوى الطبيعية .

وحدّد جريمي بنتام (١٧٤٨—١٨٣٢) (Jérémie Bentham) الحقوق بقوله : انهـا قيام الائتلاف بين التحاسد ائتلافاً قد يتحقق احياناً بواسطة ضغط

الملك ، مما يحمل على الاعتقاد ان الاثرة «الانانية» هي اساس المجتمع. على حين ان ريكاردو (١٨٠٦—١٨٧٣) صاحب نظرية «القيمة» يقول بحرية التبادل ويرفض تدخل الدولة في الشؤون الداخلية. اما ستوارت مل (١٨٠٦—١٨٧٣) (Stuart Mill) فمعروف بانه عالم نفساني اكثر منه اقتصادي ومع ذلك فانه يفهم الانسان والعالم مفهوماً مستنداً الى النظرية الذرية .

ب – تصاعد المذاهب الاجتماعية

لا تقل اهمية الوقائع في هذا الشأن عن التعاليم النظرية وربما كانت هذه الوقائع هي التي ادت الى وضع النظريات اكثر مما تنبثق منها ولذلك سنبدأ بالقاء نظرة عليها .

ففي اذار سنة ١٧٩١ القى المجلس التأسيسي جمعيات التعاون بعد ان نفرت الشعب منها لسوء تنظيمها وبدلاً من ان يعمد الى انشاء جمعية غيرها لتحل محلها فقد حظر قيام اية منظمة عمال كانت وذلك بينما كان تقدم الاليات يسير سيراً مطرداً الى الامام ليفضي الى تمركز رؤوس الاموال .

وجاءت نتيجة ثورة العمال سنة ١٨٤٨ اخفاقاً لهم كما ان الثورات الاخرى التي لم يقدر لها النجاح افضت الى تزييد خطورة الاكراه والبؤس، وقد ظلّ قيام الجمعيات ممنوعاً وان كانت مسالمة الى سنة ١٨٦٤ ، ومنذ ذلك العهد اخذت فكرة انشاء الجمعيات تتقدم تقدماً مستمراً ، فقد اعترف القانون الصادر سنة ١٨٨٤ بالنقابات التي كوّن معها اندماج مؤسسات العمل واتحاد نقابات العمال العام « C. G. T. » الذي انتصر معه سنة ١٩٠٦ مبدأ نزاع الطبقات والعمل المباشر للوصول الى تحرر الجمعيات وانشق عن هذا الاتحاد فرع كان منه المذهب الاجتماعي البرلماني .

ومن وجهة التعاليم النظرية فكانت ثمة ردة الفعل على روسو والثورة الفرنسية، ولمع في هذا الميدان جوزف دي ستر (١٧٦٠— ١٨٢١) (Joseph de Maistre) القائل : ان المجتمع هو جهاز عضوي طبيعي ينمو وفق نواميس كالنواميس الحيوية « بيولوجية » وتخيّل تخيّلاً غامضاً قيام جامعة امم .

سان سيمون Saint Simon (١٧٦٠ _ ١٨٢٥)

غالباً ما كانوا يطلقون عليه لقب الوهمي لان المبادئ التي اعلنها كانت تقوم على طرفي نقيض مع ما كان مألوفاً عملياً في عصره ومع ذلك فقد كان لافكاره تأثير عظيم . ولقد اعلن افضلية العمل وان اعترف بضرورة وجود فئات فضلى وطالب بتنظيم معقول للملكية .

كونت Comte (١٧٩٨ _ ١٨٥٧)

لقد اخذ كونت عن استاذه سان سيمون الذي تتلمذ عليه حتى سنة ١٨٢٤ وعن جوزف دي مستر (Joseph de Maistre) الذي كان يضمر له احتراماً شديداً وهو اي كونت من اقوى مفكري عصره . اما فلسفته لما وراء الطبيعة التي كانت موضوع سخرية (فلسفة ما وراء الطبيعة حسب عقلية محيطه) فاضرت بشهرته ، واسس على مذهبه الافكاري الوضعي الذي يجعد بكل شيء علم اجتماع مرموقاً حاملاً على الخطأ ليلتقي — تاركاً مذهب فردية روسو وديكارت والاصلاح البروتستانتي — بتيار فلسفة القرون الوسطى والقديمة الاجتماعي :وفرض دائماً بتناقضات موقتة ما اعلنه انه غير ممكنة معرفته او تستحيل معرفته : الغائية وموضوعية المثل الاسمى وقيمة العقل . وقال ان كل شيء يخضع لناموس النظام والتقدم المزدوج من المادة الى الحياة الى الفكر والى المجتمع،والفرد الذي هو إضمامة قوى ونزعات متسلسلة المراتب لا يتمّ الا في المجتمع :المنظمة العضوية الصحيحة .اما غاية الفرد فتنطبق على غاية المجتمع لانها اتباع النزعات الاجتماعية . والواجب قبل الحق . وما الحقوق الا محصّل الواجبات المتبادلة .

هذا هو التوازن الاجتماعي في عرف كونت (Comte) ، الذي من سوء الحظ يكتمل بقوى العناصر المادية المنسقة في عملها ويوجزه قانون الحالات الثلاث الشهير : اللاهوتية والمتافيزيقية والموضوعية .

برودون Proudhon (١٨٠٩ _ ١٨٦٥)

عُرف برودون بكلمته الشهيرة « الملكية هي السرقة ». اما تعليله الشتيت العناصر فقد استمده من المذاهب الفردية والاجتماعية وقد كتب حاملاً على

الشيوعية مؤلفه « فلسفة البؤس » وردّ عليه كارل ماركس بان وضع كتاباً سماه « بؤس الفلسفة » .

كارل ماركس (Karl Marx) (١٨١٨ــ١٨٨٣)

لا يقاس تأثير كارل ماركس بقيمة افكاره. اما تعليمه الذي جاء به فقد وضعه تحت تأثير بؤس محيط العمال الواقعي ، واعتنقه صوفية جذابة : فهو حياة. وتعليم ماركس هو شعار الاراء الاجتماعية وانما في معنى خاص اي المطالبة بالتساوي والحصول على المساواة بين الافراد بوسائل العنف .

ولا يخلو تحليله للاقتصاد الرأسمالي ولاسيما لسنة ١٨٥٠ من بعض الحقيقة. اما اليوم وعلى ضوء الوقائع الاخيرة فقد أنكرت عليه نقاط عديدة ، ولقد اقترح كملاج نضال الطبقات وتحطيم المجتمع الرأسمالي ردكه رأساً على عقب . اما القسم الثاني من منهجه فما برح مبهماً وغير محدود .

ولا ريب في ان نبذه للعامل الروحي لن يخوّله الاتيان بشيء وطيد ولن تستطيع الاشتراكية الحياة على الاساس المادية .

وصفوة القول ان الماركسية لم تقدّم الفلسفة الاجتماعية وجل ما في الامر انها نشطت التطور الاجتماعي واسرعت به .

وقبل الانتقال الى الكلام على المذهب الاجتماعي في الدولة (Étatisme) ، لا بد من الاشارة الى مذهب وسط بين تياري الاجتماعية والفردية : واريد به علم الاخلاق للرجل المتفوّق او للفرديات القوية فريدان (١٨٢٣ — ١٨٩٣) (Renan) كان الرجل المتفوق عقلياً ونيتشه (١٨٤٤ — ١٩٠٠) الرجل المتفوق عملياً . ولم ينشئ هذان الرجلان مذهباً بالمعنى الصحيح.

اجل ان كثيراً من البشر يكشفون في انفسهم دعوتهم للعبقرية. والمثل الذي ضربه هذان الرجلان ليس فيه شيء من الخلابة الجذابة ومع ذلك فقد سنم مذهب رينان عدداً من الفرنسيين كما سنم مذهب نيتشه عدداً اكبر من الالمان.

ج – مذهب الاجتماع الالماني في الدولة

هيجل (Hegel) (١٧٧٠—١٨٣١) ، اصدر هيجل كتابه «فلسفة الحقوق »

سنة ١٨٢١ ، وملخص ما جاء فيه : بما ان الكائن هو الروح التي تحققت فكذلك الحقوق هي الارادة الحرة التي قيد التحقق ، والحقوق نوعان: الحقوق اليونانية وهي كجهاز عضوي والحقوق الغربية المؤلفة كتركيب الذرات. ولقد تفوق مع ديكارت وكنت مذهب الاجتماعية الفردية الذي يجب الغاؤه ؛ اما الفكر فيصل شيئاً فشيئاً الى الوجدان والحرية اولاً بواسطة العيلة والإضمامة وثانياً بواسطة الدولة وما الدولة الا جهاز عضوي ذراتها الافراد الذين لا قيمة لهم الا اذا كانوا مندمجين و« منظمين » وهي تستخدم ضروب الاثرة «الانانيات» الفردية لغايتها . فسلامتها قبل كلّ امر آخر . اما الابطال والديكتاتوريون الذين يحررون سير الروح فهم اركان سلطانها . وعلى الفرد ان يكون احد اعضائها وان يحيا حياة عامة ، فالحياة الخاصة ضرر والارادة الفردية اذا كانت معقولة كانت شبيهة بإرادتها .

ان التاريخ هو الروح السائرة في طريقها والدولة الخاصة هي فترة تطور الروح ، واليوم يمثل العنصر الجرماني هذه الفترة والنصر مقطع الحق ، ويمثل هذه الفكرة كل التمثيل في وقت ما من الزمن ، الشعب الذي يحوز الغلبة.

واننا لنرى الشخص في هذا الجهاز العضوي يختفي كل الاختفاء..

ولقد عاد اثر هيجل مسيطراً على عقول الكثيرين بعد ان غاب مدة . ولا يغرب عنا ما احرزه من نجاح .

د – علم الاجتماع الفرنسي

ليس دركهايم(١٨٥٨–١٩١٧) (Durkheim) مؤسس مذهب علم الاجتماع الفرنسي الا دخيلاً قليل الثقافة عرف كيف يستثمر افكار غيره التي اضاف اليها ضروب ضلاله الشخصية : كانكاره المثل الاسمى وجحوده بكل علم له قواعده الراهنة ونفيه الغائية :

ولقد اتحفنا دركهايم مع ذلك ببعض الضوابط حول نقطتين : اولاً ماهية الاجتماعي وكونه وواقعه وكانت ايضاحاته في هذا الباب لا تقوم على جمع حقائق واقعية فردية ولكنها من القضايا الخاصة به . وثانياً توزيع العمل والتعاون فيه تعاوناً عضوياً وما ينجم عن ذلك من نتائج .

ه – اشتباط الفردية عددًا

اضفى الاستاذ ديجي (Duguit) ، المعدود من اشهر الحقوقيين الفرنسيين شكلاً على الفردية يبدو جديدًا في ظاهره . ومن اقواله : المجتمع هو وجهة نظر عقلية وليس شخصاً معنوياً ولا موضوعاً حقوقياً . وما من شيء مرئي وما من امر حقيقي تستطاع ملاحظته الا العمل الفردي .

(Cf « son traité du Droit constitutionnel », 1931, t. I, pp. 59, 130, 252, 329).

ان الحقوق الفاعلية اي سلطة ارادة على ارادة اخرى ليست شيئا بالاستطاعة رؤيته فهي وهم اثمرته مخيلة الانسان وبقايا كائنات اعطاها اللاهوت المدرسي جوهرًا متميزًا عن غيره (l. c. p. 253) وعلى العكس منها الحقوق الموضوعية لانها واقع ، فما هي الا قاعدة السلوك التي يفضي انتهاكها الى ايجاد دفاع قابل للتنظيم (id. p. 26, sq) . انها للقاعدة التي لا تشتمل على اية اوامر كانت ولا على اي واجب، بالمعنى المتافيزيقي ؛ فهي امر غير حقيقي كالوجدان والنفس ولا تقوم قوتها الا على كونها « قاعدة » سنها سير الاكراه الاجتماعي وضمنها (id. p. 71) .

وان الدولة ايضاً هي واقع وسلطتها هي القوة العظمى المسيطرة على ضعف الضعفاء (id. p. 50) . هذه هي الفلسفة الوضعية التي ظلت تتوالى اقيستها الذهنية دراكاً الى النهاية حتى بلغ بها الحد الى انكار كل امر .

ولذلك يشعر تلاميذ ديجي (Duguit) كالاستاذ ريبرت (Ripert) بالحاجة الى اكمال هذه النظرية التي يقولون فيها – انها نظرية علمية – الى التوسل بالايمان (Cf. Annales de la Faculté d'Aix, 1918, p. 38 et « La règle morale dans les obligations civiles, article et ouvrage de Ripert »).

ولكن وفاقاً لاي منطق ؟

و – موراس (Maurras)

هو النقطة التي التقت فيها جميع روافد الضلال فقد اقتبس عن كونت (Comte) فلسفته الوضعية واذ كان منطقياً اكثر منه لم يخرج منها واقتبس عن رنان (Renan) مروقه وطبعه بطابع كره وبغض للمسيح العبراني وانه لطابع لم يكن

لينان مثله واقتبس عن الالمان معظم نظرياتهم في علم الاجتماع وعن هيجل—وان كان يحتقر عليه ما وراء الطبيعة — نظرية الاجتماعية في الدولة ، وعن نيتشه تهكمه وكرهه الخاص للقواعد الاخلاقية الانجيلية وفضيلة المحبة،معتقد المسيحية الاساسي . وليست الهتلرية والموراسية الا خدنين لان تعليمها واحد مع فارق هو تبديل الالفاظ التي اقتضاها كلّ منهما : فكلاهما يقوم الدين عندهما على وحدة الدم وكره الاجنبي وانكار العهد القديم والمسيحية السامية ، ويجزم بان المسيحية الرومانية المتأخرة تصدر عن مأتى وطني ورثني .

وفي زعمه انه اعلنها حرباً على الفردية فاستعار منها ضلالها المزدوج الرئيسي وهما المادية والاثرة « الانانية » .

ولم يتفق ان انكر احدٌ الاخاء الانساني الذي تراءى لمتتقي مذهب زينون والقت عليه المسيحية نوراً وهّاجاً انكاراً جازماً كوراس .

وليس مذهبه بؤرة شوايب فقط لا بد لنا من ان نرثي معه فلسفته وانما هو المفاسد يعينها . فوراس لم ينكر الخالق فحسب بل انكر العقل وناقض الحقيقة في نقاط عدة اساسية من علم الاجتماع . حتى كان لا بدَّ من تدخل حكمة روما لتمد الينا يد المساعدة في جهلنا .

ز — الوجودية

طالما لا تبرح سوق الوجودية رائجة لا بد لنا من ان نلقي عليها نظرة :

لقد زعم سارتر (Sartre) انه توسّط بين نظريتين الاولى نظرية البورجوازيين الذرّية التي تضحي المجتمع في سبيل الفرد والثانية نظرية الاجتماعية المركسية التي تضحي الفرد في سبيل المجتمع .

(Cf. « Présentation des Temps modernes » reproduite par la Presse de France à Beyrouth, numéros 48-49, le 16 Novembre 1945, pp. 46-51).

ونظرية سارتر « الموحدة» بشأن تركيب الانسان والمجتمع يعتورها الغموض اذ ما من شيء فيها واضح غير الوجوديّ الذي اسرته انانيته ولا يهمه امر الا ان يُنفذ حريته التي لا تنزع الى شيء . اما وجود غيره فيبذو له « جحيماً » .

وليست هذه النظرية الا الفردية الباعثة الغوض. (له صلة)